

السيرة- سيرة الصحابييات الجليلات – بنات النبي الكريم –السيدة أم كلثوم : سيرة السيدة أم كلثوم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٦-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

لمحة مختصرة عن حياة أم كلثوم بنت النبي :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس السادس والعشرين من سير الصحابييات الجليلات رضوان الله تعالى عليهن أجمعين، والصحابية اليوم هي الابنة الثالثة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي أم كلثوم، ولدت هذه الابنة الطاهرة بعد رقية، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها .
أيها الأخوة، قبل المضي في الحديث عن هذه الابنة الطاهرة، يجب أن نعلم هذه الحقيقة، حينما قال الله عز وجل:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾

[سورة البلد الآية: ١-٣]

نظام الأبوة، ونظام البنوة، أن ينحدر البشر من آباء وأمهات، وأن يودع الله في الآباء رحمة تفوق كل تصور، وأن تكون هذه العلاقة علاقة مدهشة، علاقة الأب بابنه، وعلاقة الأم بابنها، وعلاقة الابن بأبيه، والابن بأمه، هذه العلاقة تعرفنا بالله عز وجل، تعرفنا برحمة الله



الله أودع في الآباء رحمة تفوق التصور

في حياة الإنسان إنسان واحد، يتمنى أن يكون خيراً منه، إنه أبوه، لا يوجد أب على وجه الأرض يحسد ابنه، لو كان الأب مستخدماً وابنه وزيراً يفتخر به، الأب الفقير يتمنى أن يكون ابنه غنياً، الأب غير المتعلم يتمنى لابنه أن يكون أعلم العلماء، الأب المستضعف يتمنى أن يكون ابنه أقوى

الأقوياء، والأب أحياناً، وفي أغلب الأحيان، وفي بعض الأحيان لا يحتاج إلى ابنه، لناخذ مثلاً: أب غني وقوي، ولا يحتاج إلى ابنه إطلاقاً، لا حاجة مادية ولا معنوية، ومع ذلك لا يسعد الأب إلا أن يكون ابنه في بحبوحة، وفي كفاية، وفي سعادة، وفي استقرار، وفي سمعة طيبة، إذاً نظام الأبوة يعرفنا بالله عز وجل .



أيها الأخوة، قلب الأم وحده يعرفك بالله، تتعب لتستريح، تشقى لتسعد، تجوع لتشبع، تعرى لتلبس، الأم أحياناً تحرم نفسها أطيب الطعام، وتطعمه ابنها، إذا كانت رحمة الأمهات هكذا، فكيف رحمة خالق الأرض والسماوات؟ قال تعالى:

رحمة الخالق بعباده أشد من رحمة الأم بأولادها

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٤]

أن تعرف الله، أن تعرف رحمته، أنه خلق الخلق ليسعدهم، خلقهم لجنة عرضها السموات والأرض، إذا ساق لهم بعض الشدائد من أجل أن يعالجهم، لا أنه جعل الحياة الدنيا متعبة هكذا، قال تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾

[سورة البلد الآية: ١-٣]

يعني من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله، نظام الأبوة . فابنة النبي عليه الصلاة والسلام السيدة فاطمة حينما بُشِّرَ بها، بعض الصحابة ما كانوا مرتاحين لهذه البشارة، فلما نظر إليهم، قال عليه الصلاة والسلام:

((ريحانة أشمها، وعلى الله رزقها))

وهناك بعض الروايات:
((أنه ضمها وشمها، وقال: ريحانة
أشمها، وعلى الله رزقها))
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ:



ريحانة أشمها وعلى الله رزقها

((أَنَّ عَلِيًّا ذَكَرَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْدِينِي مَا أَدَاهَا، وَيُنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وهذه السيدة أم كلثوم، هذه أيضاً ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني ما الذي يخفف متاع الحياة؟ الأسرة، أتمنى من كل أخ أن يحكم بناء أسرته؛ لأنه مهما تكن الحياة قاسية، مهما تكن متعبة، إذا دخل الإنسان إلى بيته المتماسك، الذي فيه ود، الذي فيه حب، والذي فيه تضحية، والذي فيه مؤثره، والذي فيه تقدير، إذا دخل إلى بيته، نسي كل متاع الدنيا، فإذا كان البيت جحيماً، إذا كان البيت مشحوناً بالبغضاء، بالكراهية، بالمنافسة، بإزعاج الطرف الآخر، هذا بيت قطعة من الجحيم، الإنسان يفر من متاع الحياة إلى بيته



فإذا كان بيته جحيم إلى أين يذهب؟ .
أعجب أشد العجب من إنسان لا يقيم قيمة للود الزوجي، للود بين أفراد الأسرة، بالابتسامة، بالسلام، بالدعابة، بالهدية، بغض البصر، بالمسامحة، تنمو العلاقات، أما بالتدقيق والمعاينة، والانتقاد، والسخرية، تنمو الأحقاد، وإذا أردت إن صح التعبير التصميم الإلهي للأسرة:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الروم الآية: ٢١]

فإن لم تكن هذه المودة والرحمة بين الزوجين، فالحالة مرضية جداً، وتقتضي المعالجة .

فهذه السيدة أم كلثوم يسميها بعض الخطباء: كوكب الإسلام، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمها خديجة، أم المؤمنين الكبرى رضي الله تعالى عنها، ولدت بعد رقية، وأسلمت مع أمها خديجة وأخواتها .



ماذا قال الله عز وجل عن امرأة نوح وامرأة لوط؟ قال:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوْحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾

[سورة التحريم الآية: ١٠]

إياك أن تفكر أنهما خانتا زوجيهما خيانة فراش، أبدأ، بل خيانة دعوة، بالمقابل أسعد شيء للزوج؛ أن تكون زوجته، وأولاده، وبناته على ولاء له، شيء جميل جداً، يعني أحياناً الزوجة، مع مضي الزمن تمل، أما إذا كانت الزوجة، لها ولاء تجاه زوجها، لها مشاركة، لها دعم، لها مساندة، هذه ليست زوجة فقط، إنها زوجة وصديقة، زوجة ورفيقة، زوجة وزميلة .



أقول لكم: الزوج السعيد هو الذي يستطيع أن يرفع مستوى زوجته إلى مستواه، بحيث يعيش معها كصديقين حميمين، كرفيقين، كزميلين .

لفت نظري أنها أسلمت مع أمها خديجة، سيدنا الرسول عيه الصلاة والسلام ذاق من أهوال الدعوة ما ذاق، لكن زوجته أول من آمن به، وأكبر دعم له، والله وقفت معه كالجبل .

قبل أشهر كما أعتقد، أمضينا فترة طويلة مع خديجة رضي الله عنها، تكاد الدعوة الإسلامية تقوم على جهدها، وعلى دعمها، وعلى صبرها، وعلى صمودها إن صح التعبير، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة، لم ينس فضل خديجة، قال:

((انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وعرز اللواء عند قبرها))

تزوجها عتيبة بن أبي لهب قبل البعثة، ولم يدخل عليها، كما أن أخاه عتبة تزوج رقية، وعتيبة تزوج أم كلثوم، ولم يدخل عليهما، وكان ذلك بعد البعثة، فلما نزل قوله تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: ١]

قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رأسكما حرام، حتى تطلقا ابنتيه، فطلقنا قبل الدخول عليهما . النبي عليه الصلاة والسلام حينما جعله الله أسوة حسنة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٢١]

كل شيء ذاقه، حتى تطبيق البنات ذاقه، وموت الولد ذاقه، والفقر ذاقه، والغنى ذاقه، والقهر ذاقه، والنصر ذاقه، والهجرة ذاقها، والإخراج من بلده ذاقه، ذاق كل شيء، ووقف وقفة كاملة مع كل شيء، فاستحق أن يكون سيد الخلق، ولولا أن النبي بشر، تجري عليه كل خصائص البشر، لما كان سيد البشر .

أما زوج زينب، دعي الدعوة نفسها،
بتطليق ابنة محمد، فلم يفعل، فلما وقع
أسيراً عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم، نظر إليه، فقال:

((والله ما ذمناه صهراً))

كان حراً، هناك شخص إمعة، هناك
شخص قراره بيد والدته، طلق فيطلق،
افعل يفعل، اترك يترك، الوالدة على
العين والرأس، والوالدة يُحسن إليها بلا



ذاق الرسول الكريم من كل ألوان القهر والعذاب

حدود، أما أن تأمرك بمعصية فتستجيب، فلست حراً، قالت له:

((إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، قال: والله يا أمي، لو أن لك مائة نفس،

فخرجت واحدةً واحدةً، ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت، أو لا تأكلي))



الزوجة لها حق والأم لها حق

الزوجة لها حق، والأم لها حق، أما أن
تتنساق مع الزوجة، وتنسى حق أمك،
شذوذ، أما أن تنسى حق الزوجة،
وتتنساق مع أمك، أيضاً شذوذ، أعط كل
ذي حق حقه، أما الأصل في هذا
الموضوع:

**﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**

[سورة الإسراء الآية: ٢٣]

العبادة لله وحده، والإحسان للوالدين، أما إذا أطعت والدك في معصية، فأنت عبدته من دون الله،
العبادة لله، والإحسان للوالدين .

وأنا لا أنطلق من فراغ، أخوان كثيرون يسألونني، أمه أمرته بتطليق زوجته، أبوه رفض أن
يسمح له بالزواج من فلانة؛ لأنها محجبة، معاملة قاسية جداً، أنت مكلف أن تحسن إلي الأب
والأم من دون حدود، من دون قيود، إلى أقصى حد، أما أن تطيعهما في معصية الله فمستحيل،
قال تعالى:

**﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

[سورة لقمان الآية: ١٥]

ثم تزوجها سيدنا عثمان بعد وفاة أختها رقية سنة ثلاث للهجرة، ولم تلد له، وبقيت عنده إلى سنة تسع، حيث توفيت رضي الله عنها في شهر شعبان .

الآن عامة الناس تزوج زوجة ماتت، أخذ أختها، ماذا يقول الناس: ما هذا؟ ماذا قال النبي؟ قال:

((لو كنَّ عشرًا لزوجتهن عثمان))

أرأيت هذا الكمال؟ .

وهناك شخص، لديه ظروف مادية صعبة، يقول: قدّم هذه الزوجة شوّم، كلام شياطين، زوجة طاهرة بريئة، ليس لها علاقة، إذا طرأت مشكلة، إذا كان هناك رواج، ثم صار كساد، قدّم الزوجة سيء، لا ليس سيئاً، ليس له علاقة، ما دامت الزوجة مستقيمة، فهذا الكلام ليس له علاقة . التشاؤم من رقم، من بيت، من يوم، دخل زبون عقد صفقة، دخل صديق طارت الصفقة، كلام ليس له معنى إطلاقاً، كلام شياطين، ليوقع العداوة والبغضاء بين الناس، والحقيقة هذه السيدة الجليلة السيدة أم كلثوم عاشت بين أكرم أبوين على الإطلاق .

العوام لهم كلمة تعجبني، الإنسان حينما يتزوج، فإنه يتزوج الأهل؛ لأن البنت نسخة طبق الأصل عن أمها وعن أبيها، فبيت العلم، بيت الخلق، بيت الوقار، بيت الحياء، بيت الأصالة، بيت النسب، ابحت عن الأهل .

طبعاً أم كلثوم ورقية ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجهتا مصيراً واحداً في سبيل الإسلام .



صحابي جليل اسمه: مصعب بن عمير، كان ابن أسرة غنية جداً، وكان مضرب المثل في أناقته، وثيابه الفاخرة، كان فتى أنيقاً، فيه غنى ظاهر، فلما أسلم، حُرّم كل هذا الغنى، حرّمه أهله كل شيء، هذا الحرام وسام شرف .

أفيس على هذه الحادثة، لأن البعثة الإسلامية ظهرت، ولأن الله عز وجل أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: 1]

طلقتا منهما، وهذا درس لنا، إذا خسرت بسبب دينك، بسبب منهجك، بسبب استقامتك ، بسبب مبادئك، بسبب أهدافك النبيلة، بسبب هويتك الواضحة، خسرت شيء من الدنيا، خسارة هذا الشيء، وسام شرف لك .

إياك أن تعد هذا خسارة، افتخر بكل شيء ضاع منك، بسبب مبدئك، لأن هذا في ميزان حسناتك يوم القيامة .

هناك نقطة دقيقة جداً سأوضحها لكم: إنسان عنده مطعم، يبيع الخمر، تاب إلى الله، أليس الله قادراً من لحظة توبته أن يضاعف له غلته؟ أليس قادراً؟ ما الذي يحدث؟ الغلة تهبط إلى الربع، لماذا؟ ليدفع المؤمن ثمن طاعته، لتكون هذه الخسارة المؤقتة في ميزان حسناته يوم القيامة، أما لمجرد أنه تاب، تضاعفت غلته، يتوب آلاف المنحرفين لا حباً بالله ولا طمعاً بالجنة ، ولكن رغبة في مضاعفة الغلة .



سمعت بمطعم في حلب، كتب لوحة: ممنوع شرب الخمر بأمر الرب، والرزق على الله.

فلا بد أن تدفع ثمن طاعتك، كل مؤمن يصطلح مع الله، ويوم يعاهده على الطاعة، تنشأ له مشكلات ضمن الأسرة، من أقرب الناس إليه، من أمه وأبيه، من زوجته، من أولاده أحياناً، كان من الممكن ألا تكون، لكن هذا

المؤمن لا يرقى إلى الله عز وجل، كيف يرقى؟ بدفع هذا الثمن باهظاً، الله عز وجل يريد أن تدفع الثمن، ليكون هذا الثمن في ميزان حسناتك يوم القيامة، فمرحباً بكل شيء متعب إذا كان في سبيل الله .

مرة أخ من أخواننا، كان يسهم في بناء مسجد، نشأ إشكال، فطلب للجهات الرسمية، فبلغته ذلك، قال لي: الجنة تحتاج إلى ثمن، وهذا من ثمن الجنة .

هو يعمل في بناء المساجد، وله باع طويل، وله أعمال طيبة، ولكن ما رأيته انزعج أبداً، قال: الجنة لها ثمن، وهذا من ثمن الجنة، وطن نفسك على دفع ثمن الجنة، ألا إن سلعة الله غالية .

إذا أخذ طبيب أعلى شهادة، وذاق الأمرين حتى أخذ الشهادة، وسنوات لم ينم الليل، ومنهج فوق طاقة البشر، والأستاذ صعب، قد يكون عنصرياً، وكلفه ما لا يطيق، واصل الليل



بالنهار، فإذا نال هذه الشهادة، يشعر بنشوة يصعب أن تصور .
إذا ساق الله عز وجل لرجل بعض الشدائد لأنه مسلم، أما إذا قصر الرجل مع ربه، ارتكب
معصية، الله أثلّف له ماله، أطلق بصره، هذه عقوبات، لا أتحدث عن هذا، أنا أتحدث عن مصيبة،
كانت بسبب مبدئك، بسبب التزامك، بسبب هويتك، مصيبة بهذا السبب، هذا وسام شرف، وهذا
ثمن الجنة،

((ألا إن سلعة الله غالية))

النبي عليه الصلاة والسلام شجت وجنته، وكُسرت ثنيتيه في أحد، وسال الدم من وجهه في
الطائف، أليس الله قادراً على نصره؟ كيف سمح لهؤلاء السفهاء أن ينالوا منه، وأن يشتموه، وأن
يسخروا منه، وأن يكذبوه؟ جاءه جبريل: لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال:

((لا يا أخي، اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون))

هذا هو الكمال البشري .

عاشت أم كلثوم رضي الله عنها إلى جانب أمها خديجة التي وقفت موقف الجبال الرواسي، الذي
عنده ابنة، وكان مسلماً ومؤمناً، وما صدق النبي، فهذه مشكلة كبيرة جداً، لأن النبي يقول:

((من جاءه بنتان، فأحسن تربيتهما،

فأنا كفيله في الجنة))



كل بيت فيه بنت، العناية بهذه البنت،
والعناية بدينها، وبصلاتها، وبحجابها،
وبعلمها ، وبفقهها، وبقراءتها، ثم
تزويجها لشاب مؤمن، هذا طريق للجنة .

ضمنت الجنة بهذه البنت، فالذي أعجب
منه أشد العجب، أن يتبرم الزوج إذا
بُشر بالأنثى.

لي صديق، جاءه سبع بنات، أول بنت لاقت ترحاباً كبيراً، ثاني بنت أعطى هدية للأُم ثمينة، لأنها
أنجبت بنتاً، البنت الثالثة هدية أثنى، الرابعة أثنى، كلما أنجبت له بنتاً، يأتيها بهدية ثمينة، لأنها
هدية الله، البنت هدية الله .

أحياناً يأتيك ابن ينسبك الحياة كلها، وتأتي البنت بعطفها، وحنانها، وإخلاصها، وقد يأتيها زوج
راق جداً، فيصير أقرب لك من ابنك، أنت استسلم، وعد هذا المولود هدية من الله، والهدية اعتن
بها كثيراً .

عاشت أم كلثوم إلى جانب أمها خديجة التي وقفت موقف الجبال الرواسي، لتأييد زوجها النبي صلى الله عليه وسلم.



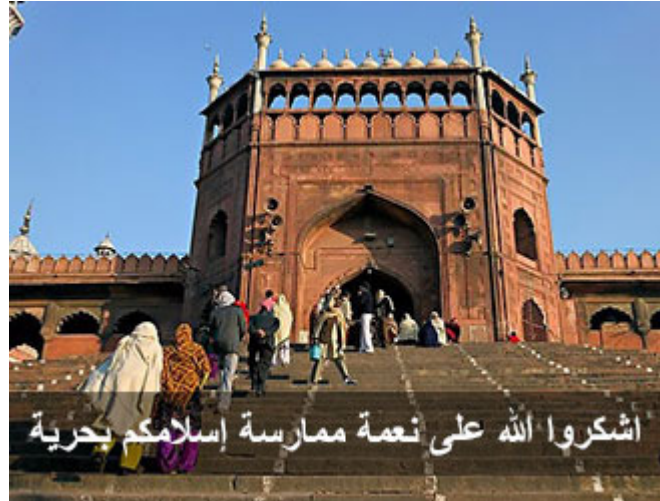
هل ذاقت أم كلثوم ألم الحصار الظالم الذي ضرب عليها وعلى المسلمين من قبل قريش، وما هي أسباب الحصار؟ أيها الأخوة، السيدة أم كلثوم ذاقت ألم الحصار، كان هناك حصار على

المسلمين، والإنسان هو الإنسان، الآن هناك حصار على بعض الدول الإسلامية، ستمئة ألف طفل يموتون كل عام، أعلى راتب يساوي صحن بيض، تضخم نقدي مزمن، الحصار هو الحصار، عَنْ أَنَسٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أَخَفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤْدِي أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَليْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبَالِ طَعَامٍ، يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ، إِلَّا شَيْءٌ يُؤَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ذاقا مع أمهما بجانب النبي صلى الله عليه وسلم ضيق الحصار، حتى إنهما أكلوا أخشن الطعام، لسد رمق الجوع القاتلة، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين بلا طعام، حتى إن بعض الصحابة، أكلوا أوراق الشجر، وهذا حتى يصل الإسلام إليك إلى الشام



أنت متمتع بمساجد مفتوحة، أحياناً مكيفة، مراوح، تكبير صوت، لا أحد يضايقك، لا سؤال، ولا جواب، كل بيوت الله مفتحة، الدروس على قدم وساق، هذا الإسلام مدفوع ثمنه، من دفع ثمنه؟ الصحابة الكرام، أنت الآن مستهلك، أنت الآن منتفع، أما الصحابة فقد دفعوا الثمن، ثلاث سنوات أكلوا أوراق الشجر، والكافر هو الكافر لا

يتغير، الكفر هو الكفر، والإيمان هو الإيمان، ومعرفة الحق والباطل أزلية أبدية .

الطعام الذي يصل إليهم، يصلهم سراً بكميات قليلة جداً، وكان عليه الصلاة والسلام يتولى توزيعه بنفسه بالعدالة، الآن تذهب مساعدات للمكوبين، الذين يحتاجون لهذه المساعدات لا تصل إليهم، وقد تصل إلى أعدائهم، فكان عليه الصلاة والسلام يوزع هذا الطعام القليل بنفسه على أصحابه .

أما أسباب الحصار: لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا، أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشي منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، وأصبح الإسلام يفسو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا على أن يكتبوا كتابًا، يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب؛ على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك، كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا، وتوافقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فذاق النبي المقاطعة الاقتصادية، ذاق ألم الحصار هو وأهله .

أم كلثوم كانت تحت هذا الحصار، نجت أختها زينب، وأختها رقية في الحبشة، وزينب مع زوجها .

وقد رق بعض أشرف قريش لآل هاشم، وآل المطلب، كانوا مستضعفين، يقول أحدهم: النبي مجنون، وينام في بيته آمنًا، النبي كان مستضعفًا، يمر النبي على آل ياسر، وهم يُعذبون، ماذا كان يقول لهم؟



ذاق النبي الكريم وأهله وصحابته ألم الحصار

((صبراً آل ياسر))

الآن كلمة محمد ترتج لها الدنيا، أما حينما بدأ بالدعوة كان ضعيفاً، ولحكمة بالغة بالغة، أرادها الله جعله ضعيفاً، لماذا؟ ليكون الإيمان به حقيقياً، لو كان قوياً وآمنوا به مائة ألف وتسعون ألفاً كاذبون خوفاً أو طمعاً، أما إذا كان ضعيفاً، فالإيمان به حقيقي .
أقول لكم هذا دائماً: الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب بقوتهم، والأنبياء بكمالهم، والنبي كان مستضعفًا، وقالوا عنه: مجنون، قالوا عنه: ساحر ، قالوا عنه: كذاب، قالوا عنه: كاهن، قالوا عنه: شاعر، ألقوا عليه التراب .

في أي عام توفيت السيدة خديجة وأبو طالب، وهل نال النبي الأذى من بني قومه بعد وفاتهما ؟

أيها الأخوة، هذه الفتاة الطاهرة الابنة البارة أم كلثوم، حزنت كما حزن أبوها في السنة العاشرة للهجرة، هذه السنة سماها المؤرخون: عام الحزن، فقد النبي دعامتين، سند داخلي، وسند خارجي، ماتت زوجته خديجة، يُضاف إلى آلامه صلى الله عليه وسلم فقد الزوجة .
ذاق موت الزوجة صلى الله عليه وسلم، ذاق موت الولد، ذاق تطليق البنات، ذاق الهجرة، ذاق الفقر، قال:

((لَقَدْ أَخَفْتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ، وَمَا يُؤَدِّي أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامٌ، يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ، إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

[أخرجه الترمذي عن أنس في سننه]

يعني إذا الواحد خاف قليلاً، وهو يدعو إلى الله عز وجل، له في النبي أسوة حسنة، وهو سيد الخلق، وحبیب الحق .

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: النَّبِيُّ، ثُمَّ الْأَمْتَلُ، فَالْأَمْتَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هناك صحابية لها زوج، ما ذاق مرةً مصيبةً، فشكت في إيمانه، فذهبت إلى النبي عليه الصلاة والسلام، كي تسأله أن يسمح لها أن تفارقه، هذا ليس مؤمناً، سار معها في الطريق، فوقع، فتعثر، فجرحت قدمه، قالت:

((ارجع فقد قضيت حاجتي))

المؤمن من خصائص الإيمان: الابتلاء، قال تعالى:

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٣٠]

قيل للإمام الشافعي:

((أدعو الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ فقال: لن تمكن قبل أن تبتلى))



فهذه السيدة خديجة، ماتت بعد خمس وعشرين عاماً في صحبة النبي عليه الصلاة والسلام، تزوجها في الأربعين، بإضافة خمس وعشرين، ينتج خمس وستون، هو عمره خمسون سنة .

الآن إذا جاوزته بسنة، يقول لك: قلبي غير مطمئن، سنة واحدة، بنت عالم، وبنت أصل، وفهم، يقول لك: كبيرة، يندب حظه دائماً، خمس عشرة سنة زيادة عنه، اللهم صلِّ عليه .

إذا تزوج الرجل امرأة وماتت، وتزوج الثانية، يرضي الثانية، ويذم الأولى، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فكان وفياً لهذه الزوجة وفاء يفوق التصور .

مرةً من باب المداعبة، قالت له السيدة عائشة:

((ألم يبذلك الله خيراً منها؟ قال: لا والله ، لا والله، لا والله))

أقسم ثلاثة أيمان .

السيدة عائشة جميلة جداً، شابة في مُقتبل الحياة، والتي كانت عنده في عمر أمه تقريباً ، إذا تزوجت المرأة في الخامسة عشر، تتجب ولد أصغر منها بخمسة عشر، معناها في عمر أمه تماماً.

بعد أن ماتت هذه السيدة الجليلة، التي هي السند الداخلي، مات عمه أبو طالب الذي هو السند الخارجي، فالدمع الداخلي انهار، والدمع الخارجي انهار، لذلك سمي كتاب السيرة العام العاشر للهجرة: عام الحزن .

لما مات أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبو طالب، حتى اعترضه سفهاء قريش، فنثر على رأسه التراب، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته، والتراب على رأسه، فقامت أم كلثوم تغسل عنه التراب، وهي تبكي، فقال عليه الصلاة والسلام:



العام العاشر للهجرة سمي عام الحزن

((لا تبكي يا بنية، إن الله مانع أباك))

ثقته بالله عظيمة جداً، هذا يتجلى في الهجرة، سراقه وراءه، مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، الناقة ثمنها يقدر بمائة وخمسين ألفاً، أو بمئتي ألف، ضرب مائة، مليونين، لمن يأتي به حياً أو ميتاً، وسراقه وراءه جاء ليقتله، ويأخذ الجائزة، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((كيف بك يا سراقه إذا لبست سوارى كسرى؟))

أنت ملاحق، مهدور دمك، ثقة النبي بالنصر، شيء لا يصدق، يعني سأصل، وسأنشئ دولة، وسأحارب، وسأتي بكنوز كسرى، وفي عهد سيدنا عمر جاءت كنوز كسرى، وجاء سوار كسرى، وتاج كسرى، وقميص كسرى، أين سراقه؟ جاء سراقه، سيدنا عمر ألبسه سوارى كسرى وتاجه، وقال:

((أبخ بخ، أعيرابي من بني مدلج، يلبس سوارى كسرى))

بالمنظور المعاصر الآن دولة في جنوب إفريقيا صغيرة جداً، لا تعرفها على الخريطة، ولا تعرف عاصمتها، والفقر مدقع، ومواطن من مواطنيها، يجلس في البيت الأبيض مكان صاحبه، أيضاً نفس المقياس، أُعيرَابي من بني مدلج، يلبس سوارى كسرى .



أتمنى على كل مؤمن، أن تكون معنوياته عالية، لن يتخلى الله عن المؤمنين أبداً، ولكنه يمتحنهم، لا يتخلى عنهم، بل يمتحنهم .

قال ابن إسحاق كاتب السيرة الشهيرة:

((إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على النبي صلى الله عليه وسلم المصائب بموت خديجة، وكانت له وزير صدق عن الإسلام، يشكو إليها، وبموت عمه أبي طالب، وكان له عضداً، وحرزاً في أمره، ومنعة، وناصراً على قومه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين))

كيف استقبل النبي أهل بيته حينما وصلوا إليه في المدينة، وما سبب رفض أبي بكر الزواج من حفصة بنت عمر، ولماذا لقب عثمان بن عفان بذي النورين ؟

هاجر النبي كما تعلمون مع صاحبه أبي بكر، وبعد حين أرسل من يأتيه بأمر كلثوم وبفاطمة . ترك النبي عليه الصلاة والسلام أم كلثوم وفاطمة عند زوجته الثانية سودة بنت زمعة التي تزوجها بعد خديجة، وبعد أن وصل إلى المدينة، واستقر فيها، أرسل بعض أصحابه، لاصطحاب أهل بيته من مكة، مع أهل أبي بكر، الذين استبقاهم هناك .

أيها الأخوة، حينما وصلت بنات النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم وفاطمة، تصحبهما زوجة النبي عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة، ومعهن بنات أبي بكر الصديق أسماء وعائشة، حتى استقبلهن نساء الأنصار بالحفاوة والترحاب، ويستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه وزوجه بكل شوق وحنان .

هذه الفطرة، جمع شمل الأسرة، بلاد
إسلامية غنية جداً، لا تسمح للإنسان
بالإقامة مع زوجته فيها، تتركه سنة بلا
زوجة، وأعداء الدين يجمعون الأسر،
ونحن نفرق بين الأسر، جمع شمل
الأسرة من منهج الله عز وجل، وليس
منا من فرق، فاجتمع الشمل، جاءت
الزوجة والبنات الأولى والثانية إلى
المدينة .



أيها الأخوة، في المدينة كان النبي عليه الصلاة والسلام مع ابنتيه السيدة فاطمة والسيدة أم كلثوم، وحدث حدثاً لطيفاً: سيدنا عمر له ابنة اسمها حفصة، توفي زوجها خنيس بن حذافة يوم بدر، وانتهت عدتها، فعرضها على أبي بكر فرفض، وعرضها على عثمان فرفض، فخاب أمله، وتألم أشد الألم، ولكنه لم يعلم ما ادخره الله له ولابنته حفصة من الشرف العظيم والمكانة الرفيعة، ماذا حدث؟ شكنا سيدنا عمر إلى النبي هذه المشكلة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة))

ما الذي حدث؟ تزوج النبي حفصة، وتزوج عثمان ابنته، هذا من باب التقليد، أحياناً لا يكون الوفاق بين الزوجين، أذعو للزوجين هكذا: الله يبعث لك أحسن منها، ويبعث لك أحسن منه، وهذا يكون أحياناً، فهذا الذي رفض، يأتي إنسان أفضل، وهذه التي رفضت، يأتي الخاطب أفضل، قال له:

((يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة))

لقي أبو بكر عمر، فقال:

((لا تجد علي، فإن رسول الله ذكر حفصة، سيتزوجها- والنبي قال:

((أخفوا الخطبة))

ما أحب أن يفشي سر رسول الله، فاعتذر، ماذا فهم سيدنا عمر؟ أنه اعتذر إباءً، لا، معنى ذلك أنّ البيان يطرد الشيطان - .

فلم أكن لأفشي سر رسول الله -اعتذاري كان، لأنني لم أرد أن أفشي سر رسول الله ، ولو تركها لتزوجتها، أنا لي الشرف أن تكون ابنتك زوجتي، أرايت إلى التوضيح ما أجمله؟! -.

تزوج النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بعد عائشة))

فلمح عليه الصلاة والسلام في حديثه هذا، أنه سيزوج عثمان إحدى بناته .

هناك رواية لأبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صدق رقية، وعلى مثل صحبته ، وتحل أم كلثوم زوجة كريمة مبدلة عند عثمان بن عفان))



أخواننا الكرام، المرأة ما أكرمها إلا كريم، ولا أهانها إلا لئيم، وكان أصحاب النبي مثلاً علياً في تكريم المرأة .

فكانت زوجة كريمة مبدلة عند عثمان بعد أختها رقية، ويحظى عثمان رضي الله عنه بهذا اللقب (ذي النورين)، لأنه تزوج ابنتي رسول الله عليه الصلاة والسلام، حيث كان زوجاً لابنتي رسول

الله على التوالي، وقد كان زواجه من أم كلثوم لثلاث سنوات خلون من الهجرة، وعاشت أم كلثوم عند عثمان ست سنوات ولم تلد له، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة تسع للهجرة، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لو كن عشراً لزوجتهن عثمان))

ولما وضعت أم كلثوم في قبرها، جلس النبي عليه الصلاة والسلام على قبرها، وعيناه تدمعان حزناً على ابنته الغالية العزيزة، فرضي الله تعالى عن السيدة الكريمة أم كلثوم، كما قال بعض الخطباء:

((كوكب الإسلام))

والحمد لله رب العالمين